الاستقامة حقيقتها، أسبابها، آثارها

كلمة للشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك

(قبل أو أثناء 1428هـ)

(لم يراجعها الشيخ)

بعناية: محب للشيخ

1444هـ

تنبيه

اعلم أن هذه الكلمة التي بين يديك (الاستقامة حقيقتها أسبابها آثارها) منسوبة إلى الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك حفظه الله. وهي كتابةٌ نُقلت عن كلمة للشيخ. ولم يُثبت فيها تاريخٌ، وليس لها أصل صوتي يُرجع إليها. وهي –حتى كتابة هذه الحروف– غير موجودة في موقعه الرسمي. على أننا وجدنا في حاشيتها نصًا: "جميع الحقوق محفوظة لموقع فضيلة الشيخ / عبد الرحمن بن ناصر البراك www.albarrak.islamlight.net" انتهى. والظاهر أن هذا عنوان قديمٌ لموقع الشيخ، وأنه قد تبدّل بعد ذلك. فالله أعلم بحقيقة الحال.

وعنوانها مثبت في مؤلفات الشيخ المطبوعة كما في سيرته في الموقع. إذ جاء فيها: "ومن مؤلفاته المطبوعة:" وذُكر منها: "الاستقامة حقيقتها أسبابها آثارها".

والناظر في هذه الكلمة ورسالة مسؤولية الكلمة يعلم أن الأسلوب هو نفسه أسلوب الشيخ حفظه الله. فمن شأن الشيخ -نفع الله به- التقسيم والترتيب، وحسن الاستدلال بالكتاب والسنة، وإيراد ما يناسب من أقوال العلماء، مع مراعاة الإيجاز والبلاغة.

وقد شاع نص الكلمة في الإنترنت، ونُسبت إلى الشيخ بعنوانها، ونصها، وربما نُقلت بغير نسبة. فليس في المنتديات والمواقع -إذن- ما ينفي هذه النسبة.

والثابت أن للشيخ كلمة عنوانها "الاستقامة حقيقتها أسبابها آثارها". وأما نص الكلمة، فلا نملك غير هذا النص منسوبًا إلى عنوانها.

والكلمة منقولة في كثيرٍ من المنتديات والمواقع. ومنها الشاملة، وشبكة مشكاة الإسلامية. وأقرب تاريخ لنشرها يُستأنس به هو ما جاء في شبكة مشكاة. أي الأول من رجب عام 1428هـ. والأرجح أنها كانت قبل هذا التاريخ.

واعلم أنني ما تصرفت في ألفاظ الكلمة، وأنه لم يتسن لي مراجعتها على الشيخ. وإنما نقلتها بألفاظها من ملف وورد قديم (إصدار عام 1424هـ/2003م). ومعلومٌ أن ذلك الإصدار يخالف الإصدارات الحديثة لمجموعة مايكروسوفت أوفيس، وقد تبطل بعض خصائصه إذا عُرضت فيها.

واعلم أنني قصدت إلى إصلاح ما زال من اختصارات الصلاة والسلام على نبينا محمد ﷺ، والترضي على الصحابة الكرام، وفواصل الآيات. وأصلحت فهرسًا في آخر الرسالة على مثال الفهرس الموجود في النص الأصلي.

وأما الحواشي فهي منقولة بالنص عن الأصل إلا ما ورد فيه: قلت. فإن ذلك مني إشارة إلى ما في الأصل من أخطاء إملائية أو في كتابة الآيات.

وحقٌ على الأمة أن تعتني بعلوم علمائها، وحقٌ على علمائها أن يصدقوا في نصيحتها ببيان دين الله عز وجل، وتعليمه للناس. ونحسب أن شيخنا –حفظه

الله ومتعه بصحته وعافيته– قد اجتهد في ذلك، وبذل وسعه وطاقته. فحقٌ على طلّابه، وتلاميذه، ومحبيه أن يبثوا علمه في الناس، ويعتنوا به، وأن يقوموا إلى كلماته، وفتاويه التي شاعت في الناس والإنترنت، فيجمعوها، ويعرضوها عليه، ويحسنوا إخراجها. وقد أحسن القائمون على مؤسسة وقف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك، وموقعه الرسمي في ذلك أيّما إحسان. وبقي علينا وكل منتفع بعلم الشيخ أن يتقرب إلى الله عز وجل بخدمة هذا العالم الجليل، وإحياء الناس بتراثه وعلومه.

والله أسأل أن يبارك في شيخنا، ويمد عمره في الطاعة، وينفعنا بعلومه في الدارين.

كتبه: محب للشيخ.

18 جمادى الأولى 1444هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدهُ ونَستعينُهُ ونستغفره، ونعوذ بالله مِنْ شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَنْ يَهدِهِ الله فَلَا مُضل لَهُ، وَمَنْ يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم.

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) [آل عمران: 102].

((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)) [النساء: 1].

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)) [الأحزاب: 70 - 71].

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ الاستِقامة على أَمَر الله غَايةٌ جليلة، وَهَدَفٌ في هذه الحياة ينبغي لِكُلِّ مُسلم أن يسعى إليه، فإنَّ مِنْ رَحْمَة الله تعالى أَنَّه يَأْمُرنا بالأمر ويبيّن لنا كيفية الامتثال به.

فيقول الله تعالى: ((فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)) [هود:112-113].

هذا الأمر مُرَتَّبٌ على ما قبله ((وَإِنَّ كُلاً لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)) [هود:111].

كلٌ سَيُوَفَّى عَمَلَهُ، الأخيار والأشرار.

إذًا: فهذا يقتضي أن يأخذ الإنسان بسبب السعادة والفلاح، كلٌ سَيُوَفَّى عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، فمن أراد لنفسه النجاة فهذا هو سبيلها، وهي الاستقامة على أمر الله وهي طريق السعادة والفلاح والفوز. وقوله تعالى: ((فاستقم[1] كما أمرت ومن تاب معك))

الأمر هنا للنبي أولاً: ثم لأتباعه ((ومن تاب معك))

إي: ومن آمن معك بأن تابوا من الشرك فأمنوا بالله ورسوله وصاروا مع النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين به وبما جاء به.

---

1) قلت: في الأصل ((فأستم)) وهو خطأ ظاهر.

إذًا فالموضوع الأساسي هو:

الاستقامة، حقيقتها، أسبابها، آثارها

ونُرَكِّزُ الحديثَ في هذا الموضوع المهم في العناصر التالية:

أولًا: تعريف الاستقامة.

ثانيًا: فضل الاستقامة.

ثالثًا: حقيقة الاستقامة.

رابعًا: ما تحقق به الاستقامة[2].

خامسًا: القوادح في الاستقامة.

سادسًا: أسباب الاستقامة.

---

2) قلت: وردت مرارًا في الأصل (الإستقامة) وهو خطأ.

سابعًا: آثار الاستقامة.

أولاً: تعريف الاستقامة

الاستقامة في اللغة [3]: ضد الاعوجاج والانحراف فالشَّيء المستقيم هو المعتدل الذي لا اعوجاج فيه، وهذا يأتي في الحسيات، تقول: هذا طريق مستقيم وهذا طريق مُعْوَجٌّ.

الاستقامة في الشرع: التي أمر الله بها نبيه والمؤمنين، كما في الآية المتقدمة وهي وصيَّة النبي ﷺ للذي قال له: ((قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ؟ قَالَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثم اسْتَقِمْ))[4].

* * *

3) انظر: التعريفات للجرجاني ص37.

4) [صحيح] أخرجه مسلم (38)، وأحمد في المسند (3 / 413) من حديث سفيان عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

ثانيًا: فضل الاستقامة

قد ذكر الله (...)[5] فضل الاستقامة، وأنها سبيل السعادة في غير ما موضع من كتابه:

قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأحقاف:13-14].

فالله تعالى قد أثنى على أهل الاستقامة، وَوَعَدَهُم بالأجر الجزيل.

وقال: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)) [فصلت:30].

قال الله تعالى: ((فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ)).

---

5) قلت: هي في الأصل I وليست أدري أقصد الشيخ أن يقول (عز وجل) أم (سبحانه وتعالى) أم (تعالى). فتركتها كذا (...) في مواضع ثلاثة لا غير في هذه الكلمة.

الأمر هنا للنبي أولًا، ثم لأتباعه، ((وَمَن تَابَ مَعَكَ)).

أَيْ: ومن آمن معك؛ بأن تابوا من الشرك، فآمنوا بالله ورسوله، وصاروا مع النبي ﷺ مؤمنين به، وبما جاء به.

* * *

ثالثًا: حقيقة الاستقامة

الاستقامة تتضمن في الشرع أمرين:

1- السَّير على الطريق.

2- الاستمرار والثبات عليه حتى الممات.

فالأول: السير على الطريق:

وهذا المعنى يُفَسِّرُهُ قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ)) [آل عمران:102].

اتقوه حق التقوى بحسب الاستطاعة، قال تعالى: ((فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ)) [التغابن:16].

والثاني: الاستمرار والثبات عليه حتى الممات:

وذلك في قوله تعالى: ((وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)) [آل عمران:102].

فهذا يتضمن الأمر بالدوام والاستمرار.

والمعنى: استقيموا واثبتوا على التقوى حتى يأتيكم الموت وأنتم على ذلك، كما في الحديث الصحيح: ((مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنْ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فلتأته مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْتِي إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ)) [6]

* * *

6) [صحيح] أخرجه أحمد في المسند (2 / 191) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه ومسلم.

رابعًا: ما تتحقق به الاستقامة

وتتحقق الاستقامة بأمور:

الأول: أداء الفرائض والواجبات

وهذه الفرائض والواجبات التي فرضها الله على عباده على مراتب:

أولًا: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

فالتوحيد هو أوجب الواجبات، وأعظم الحسنات، وأفضل الطاعات، وهو أول ما أمر الله به عباده، وهو حقه عليهم، وهو مفتاح دعوة الرسل، وتحقيق ذلك بعبادة الله وحده لا شريك له وإخلاص الدين له ويتبع ذلك تحقيق متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فإن ذلك مقتضى الشهادتين.

ثانيًا: الصلوات الخمس: وهي قرينة التوحيد في الكتاب والسُّنَّة.

ثالثاً: الزكاة، والصيام، الحج، هذه أركان الإسلام.

رابعاً: الواجبات الأخرى ك"الجهاد في سبيل الله، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحقوق العباد" كلها تدخل في الفرائض، فتكون مما يتحقق الاستقامة.

إذًا: الاستقامة إنما تتحقق بأداء حقوق الله، وحقوق العباد.

الأمر الثاني مما يحقق الاستقامة: النَّوافل

ولا شك أَنَّ الْمُحَافَظَة عَلى النَّوافل مِنْ كمال الاستقامة، ومِنْ حكمة الله أَنْ شَرَّع لعباده نوافل الطاعات في جميع العبادات "الصلاة، الصدقة، الصيام، الحج" وسائر الطاعات التي فرضها الله على عباده، شرع من جنسها ما هو تطوع.

الثالث: اجتناب المحرمات

واجتناب المحرمات يكون بامتثال المأمورات، واجتناب المحظورات، فالتوحيد – مثلاً– لابد فيه مِنْ تَرك الشِّرك، والشِّرك أعظم الذنوب، وتأتي بعده كبائر الذنوب، وتأتي بعده ذنوب على مراتبها في القبح والتحريم التي لابد من تَوَقِّيْها لتحقيق الاستقامة.

ويدخل في الاستقامة ترك الحرام البَيِّن، وترك المتشابه! كما قال صلى الله عليه وسلم ((إن الحلال بين وإن الحرام بين و بينهما أمور مشتبهات لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ))[7] .

كثيرٌ مِنْ النَّاس لا يبالي إذا لم يكن الشيء من الحرام البَيِّن، وممن يُقَال فِيهِ إِنَّ هذا حرام، أو يُفْتَى بِأَنَّه حرام فَإِنَّه لَا يَدَعَهُ!!

وهذا ينبئ عن ضعف الإيمان وضعف التقوى.

فإن صحيح الإيمان، وصحيح التقوى هو مَنْ تَجَنَّب الحرام، واتقى الوقوع في الشبهات، فضلًا عن الوقوع في الحرام؛ فاجتناب الذرائع، وما يُقَرِّبُ إلى الحرام

7) [صحيح] أخرجه البخاري (52)، ومسلم – واللفظ له – (1599) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

مطلوب ((فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ))[8] .

الرابع: ترك المكروهات وترك فضول المباحات

بعد ما علمنا أن حقيقة الاستقامة تشمل امتثال جميع المأمورات، واجتناب جميع المحرَّمات، ومن كمالها أداء النوافل، وهي أيضًا على مراتب في الفضل وفي التأكد، أيضًا من كمالها ترك المكروهات، وترك فضول المباحات.

إذًا: أهل الاستقامة ليسوا على مرتبة واحدة، فيهم المقربون، وفيهم المقتصدون، وهم لا يخرجون عن وصف الاستقامة، أما الظالمون لأنفسهم فإنهم ليسوا من أهل الاستقامة المطلقة؛ لأنهم مُخَلِّطون ((خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً)) [التوبة:102].

---

8) [صحيح] تقدم قبله من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

فلم يكونوا مستقيمين الاستقامة التي أمر الله بها، عندهم تفريط، وبهذا نعلم أن الاستقامة تتفاوت، ويتفاضل فيها أهلها.

الخامس: الاستمرار على طريق الاستقامة حتى الموت

فمن المعلوم أن كثيراً من الناس ممن يسير على طريق طالباً لأمر يستطيل الطريق فلا يطيق السير وأضرب لهذا مثلاً في السير على الطريق الحسي فمن المعلوم قد ينطلق جَمْعٌ كثيرٌ من الناس للوصول إلى مطالب وحظوظ، فمنهم من يكون عنده صدق في الطلب، وعزم صادق، وعنده يقين بحصول المطلوب، وهو من مطالب الحياة، ومنهم من يكون ضعيف فيتقاعس، وربما رجع من الطريق، وربما سار ببطء، فمِن مفهوم الاستقامة التي أمرنا الله بها، وأثنى بها على المؤمنين الثبات والدوام إلى الممات، فالذي آمن، وسار على الطريق، ثم انحرف يمينًا، أو شمالًا بإفراط، أو تفريط، أو رجع فما استقام، لابد لتحقق الاستقامة من الاستمرار؛ لأن من تراجع لا يصل إلى مطلوبه، ولهذا أكَّد الله هذا بقوله:((وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ

وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ))، وفي الحديث، ((فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ))[9] .

بما يشتمل عليه اسم الإيمان من الأفعال أو التروك.

السادس: عدم الانحراف

وتتضمن الاستقامة أيضًا –وهو مما يدخل في السير على الطريق– عدم الانحراف.

والانحراف: خلاف الاستقامة.

والانحراف في طريق الدين: إما أن يكون إلى إفراط أو إلى تفريط، وإما أن يكون هناك تجاوز لحدود الله "غلو، طغيان" وإما تفريط، وتقاعس، وتراجع، وانحراف.

فأما الإفراط: فإنه يكون بتعدي حدود الله، قال تعالى: ((تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا)) [البقرة:229].

9) [صحيح] تقدم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

هذا في الأوامر، ولا تتعدى المباح، ولا تتجاوز ما شَرَعَ الله إلى الغلو والابتداع في الدين.

ومن الإفراط: الغلو في الدين في كل شرائعه، لابد من الوقوف عند الحدود، ((تلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا)) [البقرة:229].

وأيضًا: قال ((تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا)) [البقرة:187].

فالقُرب من حدوده التي نهانا عنها تفريط، وتعدِّي الحدود إفراط، وكلاهما خلاف الاستقامة.

فالاستقامة تقتضي الوقوف عند حدود الله التي أذن فيها من واجب، ومستحب، ومباح، وَتَجَنُّب الحدود التي نهى الله عنها، فنهى عن القرب منها.

إذًا: السَّير إلى الله لابد أن يكون في الطريق الوسط، وهو الذي يُسمَّى في النصوص الصراط.

ما هو الصراط؟

الصراط: هو دين الله، هو الإسلام، هو القرآن.

دين الله هو الصراط الذي نَصَبَهُ الله للعباد طريقًا يسيرون عليه إليه (...).

فالعبد في ضرورة إلى هداية الله، وهدايةُ الله لهذا الصراط يتضمن الاستقامة ((اهدِنَا الصِّرَاطَ المستَقِيمَ)) [الفاتحة:6].

اهدنا: أَوْجَبَ الله علينا أن نستهديه الصراط في كل ركعة، ((اهدِنَا)) هذا أوجب وأفضل وأنفع دعاء.

الهداية هنا تشمل نوعين

1- هداية الدلالة والإرشاد.

2- هداية التوفيق، وهداية التوفيق تتضمن الثبات على الطريق.

* * *

خامسًا: القوادح في الاستقامة

لما أمر الله نبيه ﷺ بالاستقامة، نهاه عن ضِدِّها، وهو الطغيان، والمَيْل إلى الكافرين والظالمين، والفاسقين والمنافقين، فقال: ((وَلاَ تَطْغَوْاْ)).

الطغيان ضد الاستقامة، تجاوز، وإفراط، وتعدِّي لحدود الله، وإمعان أيضًا في الباطل، قال: ((وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)).

فقوله تعالى: ((وإنه بما تعملون بصير)) فيه وعد ووعيد، وإذا كان (...) بصيراً بما يعمله العباد، فإنه سيجزيهم بما علمه، ورآه من أعمالهم التي وقعت منهم حقيقة، على الخير خيرًا، وعلى الشرِ بما يستحقون.

قال تعالى: ((وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ)).

الركون

هو المَيْل، وهو أيضًا ضد الاستقامة.

والاستقامة تتضمن مفاصلة أعداء الله، وبُغْضَ أعداء الله، والحذرَ من طاعة أعداء الله، قال تعالى: ((وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً)) [الأحزاب:48].

وطاعتهم من الركون إليهم.

قوله تعالى: ((فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ)) [هود:113]. فيه وعيد شديد وتهديد لمن ركن إلى الظالمين وينبغي أن يُعلم أن أكثر ما يطلق عليه اسم الظلم في القرآن الشرك، قال تعالى: ((وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذاً مِّنَ الظَّالِمِينَ)) [يونس:106].

وقال: ((إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)) [لقمان:13].

ويشمل الظلم أنواع الظلم، وقد يُراد به في بعض المواضع ما دون الشرك، مثل الآية التي أَشَرْتُ إلى معناها، قال تعالى: ((ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ

عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ)) [فاطر:32].

هذه الأصناف هي أصناف المؤمنين بالكتاب وبالرسول، منهم الظالم لنفسه المخلِّط، ومنهم المقتصد وهو المتوسط، ومنهم السابق بالخيرات وهم المقربون.

* * *

سادسًا: أسباب الاستقامة

1- صحة الإيمان واليقين

لأن الانحراف والفتور والتراجع ينشأ عن ضعف اليقين، كلما كان الإيمان أقوى كلما تحققت الاستقامة، وتكاملت، وتمت، قال تعالى: ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ)) [الروم:60].

فاليقين يحمل على الصبر، والصبر هو قاعدة الاستقامة، فكل من الصبر واليقين عماد للاستقامة.

فالاستقامة والسير على الطريق، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي تفتقر إلى اليقين والصبر.

فما يُؤْتَى الإنسان إلا من ضعف إيمانه، ومن ضعف يقينه، ومن ضعف صبره.

2- التبصر بالدين

والعلم بما جاء به الرسول من الكتاب والحكمة والتبصر فيهما، التدبر لهما، تدبر القرآن يُورِث معرفة بما أمر الله به وبما نهى عنه، وفي القرآن الترغيب والترهيب والوعد والوعيد.

فالعلم بهذه النصوص واستشعارها واستحضارها من أسباب الاستقامة، أن تَعْلَم أن الله أمرك، أن تعلم عاقبة الطاعة، وعاقبة المعصية وعاقبة تركها، فالعلم بذلك واستشعاره من أسباب الطاعة.

الانحراف إما أن يكون لعدم العلم أو لعدم اليقين، وعدم الإيمان التام، ولهذا قال ﷺ: ((لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ)) [10].

الزاني المسلم ما يَكْفُر بزناه، لكنه يفتقد الإيمان الوازع، فالزاني ما زنى والشارب ما شرب والسارق ما سرق إلا عندما زال عنه الإيمان الرادع، الذي يحمل على الكفِّ، فقد يتوفر هذا الإيمان فتحصل الاستقامة باجتناب ما حَرَّمَ الله، وهكذا في المأمورات، فالإيمان هو الوازع، وهو يقوم على العلم.

3- الدعاء

فيسأل الإنسان ربه الثبات "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، اللهم اهدني الصراط المستقيم" فالدعاء الواجب والمستحب يتضمن سبب من أسباب الاستقامة.

10) [صحيح] أخرجه البخاري (2475)، ومسلم (57) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ومن الأدعية: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى))[11]، ((اللَّهُمَّ اهْدِنِي وَسَدِّدْنِي)) [12].

فسؤال الهداية، وسؤال الثبات، واستمداد العون من الله هي من أسباب الاستقامة ((اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ)) [13]، فبدون هداية الله وعونه وتوفيقه لا يصل الإنسان إلى شيء[14]، ولا يقوى على شيء، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

11) [صحيح] أخرجه مسلم (2721) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه

12) [صحيح] أخرجه مسلم (2725) من حديث علي رضي الله عنه.

13) [صحيح] أخرجه أبو داود (1552)، والنسائي (1303) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

14) قلت: هي في الأصل شيىء وهو خطأ.

4- اختيار الصحبة الصالحة

فالصحبة الصالحة الذين يُذَكِّرون الإنسان إذا نسي، ويأمرونه بما يجب عليه، وينكرون عليه إذا انحرف، ويعينونه إذا كَسُلَ، قال تعالى: ((وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ)) [التوبة:71].

المؤمن إن أصابه شيء احتسبه: قال ﷺ: ((عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ))[15] .

---

15) [صحيح] أخرجه مسلم (2999) من حديث صهيب رضي الله عنه.

سابعًا: آثار الاستقامة

إن أعظم آثار الاستقامة مغفرة الله ورحمته وكرامته ورضوانه، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) [الأحقاف[16]:13-14].

يأتي المؤمن يوم القيامة وهو آمن، والناس يخافون ويفزعون، قال تعالى: ((أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [فصلت:40].

أمن وهدى، قال تعالى: ((الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ)).

في الآية الأخرى: ((إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا)) [فصلت:30].

---

16) قلت: هي في الأصل (فضلت)، وهو خطأ في الإملاء والعزو.

يُقَيِّض الله لهم الملائكة في أصعب الأحوال، تطمئنهم في الدنيا، وأيضًا تُقَوِّي فيهم الثقةَ بالله، والتوكلَ عليه، وحُسْنَ الظن به، لا حُسْن الظن الذي هو اغترار وأماني، إنما حُسْنُ الظن المبني على مجاهدة النفس، والجد، والاجتهاد في طاعة الله، فتنزل عليهم عند الموت وفي القبر، وتتلقاهم يوم القيامة ألا تخافوا ولا تحزنوا، قال تعالى: ((إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ)) [الأنبياء:101-103].

إِنَّ مِن عاقبة الاستقامة: السعادة في الدنيا والآخرة، فأهل الإيمان هم في نعيم في الدنيا، وفي البرزخ، وفي الآخرة.

كما قال ذلك ابن القيم رحمه الله في قوله تعالى: ((إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ)) [الانفطار:13].

نعيم في الدنيا؛ بما يجعله الله في قلوبهم من السرور وقرة العين، والفرح بالإسلام، وبالإيمان وبالقرآن، وفي البرزخ يفتح للمؤمن باب إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويصير عليه قبره روضة من رياض الجنة، وفي الآخرة في جنات النعيم، في نعيم مقيم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فنسأل الله لنا ولكم الاستقامة، والثبات على دينه، وأن يعصمنا وإياكم من مُضِلَّات الفتن ما ظهر منها وما بطن، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.

قلت: انتهت كلمة الشيخ بنصها وحروفها إلى هذا الموضع.

نسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا من أهل الصلاح والاستقامة. والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

الفهرس